المبحث الثالث

٣- معني الوسطيَّة في السنة النبويَّة.

فسَّر النبي ﷺ الوسطيَّة في السنة بالعدل قال ﷺ :" يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وأمته، فنشهد أنَّه قد بلغ، وهو قوله جلَّ ذكره

" *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ* "قال وسطاً: عدلاً [(١)].

قال القرطبي (ت ٦٧١ هـ -١٢٧٣ م): وسطاً؛ الوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وفي التنزيل " *قَالَ أَوْسَطُهُمْ* " (القلم/٢٨) أي : أعدلهم وخيرهم، وفي الحديث " خير الأمور أوسطها " وقد تقدم تخريجه.

وعن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في الجنَّة " عليكم بالنمط الأوسط فإليه ينزل العالي،و إليه يرتفع النازل "

" وليست الأمة المحمديَّة تشهد على أمة نوح فقط، ولكنها تشهد على كل الأمم السابقة، وقد روى ذلك في حديث مطول رواه ابن المبارك وفيه "فتقول تلك الأمم كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟" فيقول لهم الرب سبحانه: كيف تشهدون

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد .كتاب الأنبياء باب " إن أرسلنا نوحاً إلي قومه " (١٣٤/٤) أنظر شرح القسطلاني (٣٣٨/٥) وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٣١/٦) بلفظ مقارب، وأخرجه الترمذي بلفظ قريب، وقال عنه " حسن صحيح " وأخرجه ابن ماجه (٢٩٧/٢) في باب: صفة أمة مُحَمَّد. أنظر الأحاديث القدسية (٤٨٣/٢-٤٨٤) جمع النشرتي وآخرون.

على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولاً وأنزلت إلينا عهدك وكتابك، وقصصت علينا، أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب: صدقوا. ذلك قوله تعالى "*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً* ".

والوسط: العدل لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً.

قال ابن أنعم: فبلغني أنَّه يشهد يومئذ أمة مُحَمَّد إلا من كان في قلبه حنة على أخيه [1].

الشيطان يحارب الوسطية بالغلو والتقصير.

قال العجلوني المحدث[2] روي العسكري عن الأوزاعي عنه ﷺ أنَّه قال:. " ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب: الغلو أو التقصير".

ولأبي يعلى بسند جيد عن وهب بن منبه قال:. " إن لكل شيء طرفين ووسطاً، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط إعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط من الأشياء ".

ولبعض الشعراء: [3]

عليك بأوسط الأمور فإنها نجاة، ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

وللآخر :

حب التناهي غلط خير الأمور الوسط

وقال الآخر :

لا تذهبن في الأمور فرطـــاً، لا تسألن إن سألت شططا، وكن من الناس جميعا وسطا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٥) للقرطبي تفسير سورة البقرة.

(٢) كشف الخفا (١/٤٧٠) إسماعيل بن مُحَمَّد العجلوني الجراحي.

(٣) البيان والتبيين (١/٢٥٥) للجاحظ.

شرح حديث " خير الأمور أوساطها "

قال ابن الأثير في النهاية:[١] (ت سنة ٦٠٦ هـ)

"كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان، فإنَّ السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه بالتبري منه، والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعداً ازداد من الوسط قرباً، وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما وهو غاية في البعد عنهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان " ا.هـ.

والوسط يجيء في المعاني المعقولة، كما يجيء في الأشياء المحسوسة، ومن ذلك قول أعرابي للحسن[٢]

" علمني ديناً وسوطاً، لا ذهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً ".

فالوسط هو المتوسط بين الغالي والتالي، ومن ذلك قول علي ﷺ " خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي " قال عمر بن الخطاب ﷺ[٣] " أوشك الله أن يقبض هذا العلم قبضاً سريعاً فمن كان عنده منه شيء فلينشره، غير الغالي فيه ولا الجافي عنه ".

قال ابن منظور في اللسان [٤] في مادة " جفا " الجفا: يقصر ويمد خلاف البر نقيض الصلة.

وقال [١] في مادة " غلا " الغلو: التشدد ومجاوزة الحد.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر المبارك بن مُحَمَّد بن الأثير أنظر البيان والتبيين (٢٥٥/١) للجاحظ بلفظ " لا ذاهباً شطوطاً، ولا هابطا هبوطاً ".

(٢) بيان للناس (١١/١) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

(٣) مناقب عمر بن الخطاب (ص/١٨٣) أبي الفرج بن الجوزي.

(٤) لسان العرب (١٦١/١٨) لابن منظور الإفريقي.

النهي عن الغلو في الدين ومجاوزة الحد.

وفي الحديث [٢] : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم،والسلطان المقسط،وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه"

قال ابن رجب [٣] :فالغلو من صفات النصارى والجفاء من صفات اليهود، والقصد هو المأمور.

قال ابن منظور [٤] :

وقوله " وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه إنما قال ذلك لأن من آدابه وأخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور، وخير الأمور .

---

(١) لسان العرب (٣٦٨/١٩) لابن منظور الإفريقي.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

(٣) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص/٥٩).

(٤) لسان العرب (٣٦٨/١٩).